أحمد نسيم

١٨٨٠- ١٩٣٨

شاعر مبدع، من أعلام الشعر الوطني، يمتاز بجذالة الأسلوب، وتدفق المعاني والأحاسيس الوطنية في قصائده، ولا يقل شعره رواء وحسن ديباجة عن شعر شوقي وحافظ وأحمد محرم.

ولد سنة ١٨٨٠، واعتنق منذ صباه مبادئ الوطنية، وتجلت مواهبه الأدبية وهو في سن مبكرة، فامتزجت الوطنية بروحه الشاعرية، وتمشت في قصائده الغر، وأضفت عليها جمالا ورونقا وبهاءً، وجعلت لها رنينا موسيقيا يأخذ بمجامع القلوب.

سمي (شاعر الحزب الوطني)، واعتز هو بهذا اللقب، وسجله في ديباجة ديوانه الذي ظهر في جزأين سنة ١٩٠٨ وسنة ١٩١٠، وأهداه إلى المرحوم محمد فريد زعيم الحزب الوطني إذ ذاك، قال في كلمة الإهداء:

رئيسي المحبوب

"أما بعد فإني أتشرف بإهداء الجزء الثاني من ديواني إلى سعادتكم لاحتوائه على القصائد الوطنية التي نظمتها ما بين سنتي ١٩٠٩ و١٩١٠ ميلادية، وقد اعتمدت في نقلها على الصحف التي تفضلت بنشرها مبقيا ديباجتها كما هي حتى لا يغرب عن ذهب القارئ على مدى الأيام وصف الحادث الذي نظمت القصيدة بسببه".

"وإني إذا أهديت ديواني إلى سعادتكم فكأني أهديته إلى الأمة المصرية التي يمثلها حزبكم الموقر".

أحمد نسيم

شاعر الحزب الوطني

ويعد نسيم ثاني الطبقة الأولى من شعراء الحزب الوطني، وأولهم أحمد محرم، وثالث الثلاثة المعاصرين أحمد الكاشف الذي ستتحدث عنه فيما يلي، وجميعهم تبدأ أسماؤهم (بأحمد).

وتبدو مكانة نسيم الممتازة في عالم الشعر من قول إسماعيل صبري شيخ الشعراء في تقريظ الجزء الأول من ديوانه سنة ١٩٠٨:

لك في الشعر يا (نسيم) معانٍ ... باهرات تحار فيها العقول
كل بيت يطل منه على أفهام ... أهل النهي محيا جميل

ولما ظهر الجزء الثاني سنة ١٩١٠ قرظه صبري أيضاً ببيتين آخرين رقيقتين قال:

أي غصن في الروض هز (نسيم) ... نثرت منه هذه الأزهار
حبذا شعره الجني وأهلا ... ببيان تزهي به الأشعار

يؤيد مصطفى كامل في قطع علاقته بالخديو

قال نسيم مخاطباً مصطفى كامل بمناسبة كتابه إلى الخديو عباس الثاني بقطع علاقته به سنة ١٩٠٤:

خطيب الشرق لا تلوي العنانا ... فأنت المرء أوقرهم جنانا
وأمضاهم إذا كتبوا يراعا ... وأذلقهم إذا نطقوا لسانا
لقد دافعت دهراً عن بلاد ... قد أفتخرت بمدرهما زمانا
وكم مرت العلاء لقوم مصر ... وكنت أشد من فيها جنانا
بقلب عاف أرزاء الليالي ... كما عاف المذلة والهوانا

obeikandl.com

***

وجانبت الأمير وأنت تنوي ... فعالا لا يكون بها مدانا
وكم من فرقة صعب فهانت ... وكم من طارئ أخني فهانا
فزدنا مصطفى وزادد ثباتا ... يزدك القوم شكراً وامتنانا
مدحتك لا لجائزة ولكن ... وجدتك خير من يهدي البيانا
هدية شاعرا ظل يطري ... ويمدح فيك أخلاقا حسانا
فكن للشرق ساعده المرجي ... تزرك قصائدي آنا فآنا

يهاجم المعتمد البريطاني

ومن قوله سنة ١٩٠٧ مخاطبا اللورد كرومر لمناسبة رحيله عن مصر بعد خطبته التي هاجم فيها المصريين والإسلام:

يا لورد هل لك في الإسلام من غرض ... ترمي إليه بسهم منك مسنون؟
هجوت قومي وما فارقت أرضهم ... حتى تجرأت أن تنحي على الدين
رأيت أنك لست المرء تصلحنا ... ولست فينا على مصر بمأمون
غادرتها وهي للتقرير صارخة ... إلا الإله بقلب منك مخزون
فلا رماك الحيا إلا بداجنة ... تهمي عليك بزقوم وغسلين

يمجد الشرق ويحزن لحالته

قال يمجد الشرق ومصر ويحزن لحالتهما:

تداعت رواسي الشرق فإنها جانبه ... وما هم حتى أقعدته نوائبه
تحاربه الأعداء من كل جانب ... ولم يكفهم أن الزمان يحاربه
تحد على هاماته شفراته ... وترهف فوق الناصيات قواضبه
وحسبك أن الشرق في كل أمة ... مآثره مشهورة ومناقبه

obeikandl.com

تخـــرج منـــه الفـــاتحون لأرضـــه فماجـــت بـــه بطحـــاؤه وســـبابه
وكـم كـان للشـمس المضـيئة مطلعـا أفـــق معـــال لا تغيـــب كواكبـــه

إلى أن قال:

ومـا الشـرق إلا مـوطن عبثـت بـه علـــى غـــزة أبنـــاؤه وأجانبـــه
أضـاعوا حمـى يجـري النضـار بأرضـه وتهمـــي عليـــه بـــاللجين ســـحائبه

يهاجم أسرة محمد علي

وقال سنة ١٩٠٨ يخاطب مصر ويهاجم أسرة محمد علي وهي في إبان سلطاتها:

رثيتـــك يـــا أرض الفراعنـــة الألـــي قضـوا فـي بلـوغ المجـد مـا الحـق واجبـه
ورثـــت بفضـــل العلـــم عـــزاً ممنعـــا فمـــا بـــات إلا وابـــن غيـــرك غاصـــبه
ولا خيـر فـي عـرش مـن الغـرب ربـه ولا خيـر فـي مـال مـن الغـرب كاسـبه
أفيقـــي فمـــا فـــي الجهـــل إلا مذلـــة ولا العلـــم إلا ســـؤدد عـــز صـــاحبه
أنيـري ظـلام الشـرق بعـد اسـتداله فعنـد طلـوع الشـمس تجلـو غياهبـه
ولا تقنطـــي مـــن رحمـــة الله مـــرة إذا شـــيم مـــن بـــرق انخـــذالك خالبـــه
وددت بـــلادي أن تســـود بنفســـها لأكتـــب فيهـــا خيـــر مـــا أنـــا كاتبـــه!

يدعو الأمة إلى الجهاد

ومن قوله سنة ١٩٠٨ يدعو الأمة إلى الجهاد والذود عن حقوقها واستقلالها:

هلـــم نـــدافع جهـــدنا عـــن بلادنـــا دفـــاع كمـــاة أو ضـــراغم غـــاب
كـــذلكم الرئبـــال تعـــروه ســـورة إذا احتـــل يومـــا خيســـه بـــذئاب
ومـــن فقـــد اســـتقلاله عـــاش هينـــا يســـاهم صـــنوفا مـــن أذى وعـــذاب
هلـم نخـض غمـر الصـعاب إلـى العـلا ونفـــرق مـــن الإقـــدام كـــل عبـــاب
عســى يســعد الجــد الــذي مــال نجمــه وتشـــرق شـــمس المجـــد بعـــد غيـــاب

obeikandl.com

ألـــم نـــك كاليونـــان أهـــلاً لمجلـــس ... يـــدافع عنـــا عـــن كـــل مصـــاب
ألـم نـك كالبلغـار والصـرب فـي الحجـا ... وأخصـــب مـــنهن اخضـــرار جنـــاب
ألـــم نـــك أرقـــى مـــن ممالـــك لـــم تقـــم ... لـــدأب ولـــم تهمـــم لأي طـــلاب
أليســـت بـــلاد النيـــل أول أمـــة ... أماطـــت عـــن العرفـــان كـــل نقـــاب
علـــوم وأخـــلاق وفضـــل وهمـــة ... وتـــذليل أوعـــار وذلك صـــعاب

وقال يفند مطاعن كرومر على المصريين:

فحتـــام ذيـــاك العميـــد ينوشـــنا ... بناجـــذ ســـرحان وظفـــر عقـــا
فطـــورا يعادينـــا بتقريـــر كاشـــح ... وطـــوراً يناوينـــا بنشـــر كتـــاب
ويالـيتـــــه رد الـــــدليل بمثلـــــه ... وخفـــض مـــن طعـــن لـــه وضـــراب
إذا عجـز المقهـور عـن قهـر خصـمه ... لـدى الـبطش لـم يلجـأ لغيـر سـباب

يرثي مصطفى كامل

وقال سنة ١٩٠٨ في رثاء مصطفى كامل من قصيدة تزيد على ستين بيتا:

مـــا بـــال دمعـــك لا هـــام ولا جـــاري ... هـــل اكتفيـــت بمـــا فـــي القلـــب مـــن نـــار؟
جفـت دموعـك مـن عينيـك واسـتترت ... فيهـــا لـــواعج أحـــزان وأكـــدار
ضـاع الصـواب ونفـس المـرء سـاهمة ... مـــا بـــين أقضـــية تجـــري وأدار

***

يـا طـائر البـين لا فربـت مـن سـكن ... ولا هـــدأت بأفنـــان وأوكـــار
نعيـــت خيـــر فتـــى كنـــا نؤملـــه ... يـــوم الرجـــاء لأوطـــان وأوطـــار
فليمـــرح الـــذئب مـــا شـــاءت مهانتـــه ... فقـد غفـت عنـه عـين الضـيغم الضـاري
لا أيـــد الله أعـــداء أذلهـــم ... حتـــى أقـــاموا بـــدار الـــذل والعـــار

obeikandl.com

* * *

يـا بـائع الصـبر إن النـاس فـي جـزع فبـــع لهـــم كـــل مثقـــال بـــدينار
مـــا زال يـــدأب حتـــى خانـــه قـــدر ألقـــى عليـــه عصـــا دأب وتســـيار

وقال يصف الجنازة واحتشاد الجموع فيها:

أعـــزز علـــى حامليـــه فـــوق أعيـــنهم أن يرجعـــوا بـــأكف منـــه أصـــفار
كأنمـــا الـــنعش عـــرش زانـــه ملـــك يمشـــي الهوينـــا بـــإجلال وإكبـــار
كأنمـــا النـــاس حـــول الـــنعش مائجـــة أمـــواج مضـــطرب الآذى زخـــار
فلـــو يعـــدون مـــا أوفـــى بهـــم عـــدد كصـــيب القطـــر لا يحصـــي بقـــدار
كأنمـــا لجـــب البـــاكين مـــن هلـــع هـــزيم رعـــد أجـــش الصـــوت هـــدار
كأنمـــا الأرض قـــد ســـدت طرائقهـــا بالنـــاس مـــن ثابـــت فيهـــا وســـيار

ومن قصيدة أخرى له سنة ١٩٠٨ في رثائه:

أمـــل نـــأي عـــن أرض مصـــر وزالا أصـــمي القلـــوب وقطـــع الأوصـــالا
يـــا نائبـــاً عنـــا وكنـــت محســـدا فينـــا كمـــا كنـــت الشـــريف فعـــالا
مـــدت إليـــك المنـــون فأنشـــبت بقلوبنـــا قضـــبا لهـــا ونصـــالا

إلى أن قال:

إنـــا ســـنبقى ذكـــر فضـــلك خالـــدا لنكـــون فـــي صـــدق الوفـــاء مثـــالا
قـــد كنـــت أفضـــل مـــن يـــذود لســـانه عنـــا وأصـــدق مـــن يقـــول مقـــالا
فليســـق شـــؤبوب الحيـــا لـــك موحشـــا قـــد ضـــم مجـــداً بينـــه وجـــلالا

يؤيد فريدا في جهاده

قال سنة ١٩٠٨ مخاطباً محمد فريد رئيس الحزب الوطني مؤيدا له في جهاده:

إجهـــر برأيـــك إن الحـــق قـــد غلبـــا ... هـــذا يراعـــك يحكـــي الســـيف مـــا كتبـــا
أرى المضـــلين قـــد زاغـــت بصـــائرهم ... ومـــن يظـــن الـــدجى صـــبحا فقـــد كـــذبا
ســـر فـــي طريقـــك لا تحفـــل بـــذمهم ... ولا يهـــــزك مغـــــرور إذا غضـــــبا
لا أنـــت ترجـــوا افتقـــارا مـــنهم تخـــذلهم ... ولا تؤمـــــل مـــــن إحســـــانهم رتبـــــا
لا زلـــت بـــالحق بـــين القـــوم تخـــذلهم ... حتـــى تـــراهم وكـــل فـــي الـــوغي هربـــا
فـــاهزم كتـــائبهم وافلـــل مضـــاربهم ... واســـلل يراعـــك واكتـــب عـــنهم العجبـــا

يندد بوزارة مصطفى فهمي

وقال في نوفمبر سنة ١٩٠٨ يندد بوزارة مصطفى فهمي على أثر سقوطها، وكانت موالية للاحتلال:

مـــا للـــوزارة ذات الضـــعف والفشـــل ... باتـــت علـــى دارس أعفـــى مـــن الطلـــل؟
وزارة بلغـــــت بـــــالوهن غايتهـــــا ... فـــي كـــل نائبـــة أو حـــادث جلـــل
ترحلـــت غيـــر مبكـــي علـــى أحـــد ... وودعـــت غيـــر مأســـوف علـــى رجـــل
إن زال مجـــد الفتـــى أو زال منصـــبه ... فـــذكره بعـــد فـــي التـــاريخ لـــم يـــزل
يـــا هيئـــة الصـــم بينـــي غيـــر راجعـــة ... إلـــى جمـــودك فـــي أيامـــك الأولـــى
وزارة مالهـــا فـــي الخيـــر صـــالحة ... ولا علـــى صـــولة الأيـــام مـــن قبـــل
كانـــت تماثيـــل بـــين القـــوم قائمـــة ... بـــلا لســـان ولا قلـــب ولا عمـــل

obeikandl.com

يندد بالخديو عباس

وقال في ديسمبر سنة ١٩٠٨ حين تنكر الخديو عباس الثاني للحركة الوطنية، وحيل بين جموع الشعب والاقتراب من موكبه لمطالبته بالدستور:

خطـــوب مـــا هـــلا أبـــداً نصـــير ... وأمـــر حـــل فـــي مصـــر خطيـــر
لـــئن كرهـــت حيـــاة الشـــعب يومـــاً ... فخيـــر لـــو تفتحـــت القبـــور
أيـــارب الأريكـــة قـــد رضـــينا ... بأنـــك لا تـــزار ولا تـــزور
وهبنـــا نطلـــب الدســـتور جهـــرا ... ألا يرضـــيك ذيـــاك الشـــعور؟
أغيـــرك فـــي الملـــوك وأنـــت أدري ... لـــه شـــعب علـــى البلـــوي صـــبور؟
فهـــل خـــدعتك فـــي البهتـــان نـــاس ... أردوا أن يســـوء بنـــا المصـــير؟
(أور يضـــحك الســـفهاء منهـــا ... ويبكـــي مـــن عوقبهـــا الخبيـــرة)

يمجد الوطنية في رأس السنة الهجرية

وقال سنة ١٩٠٩ في الاحتفال بعيد رأس السنة الهجرية (١٣٢٧) الذي أقامته لجنة الحزب الوطني الفرعية ببولاق بمدرسة الشعب يمجد الوطنية ويخاطب فريداً:

قـــد مثلونـــا فـــي التعصـــب مثلمـــا ... قـــد شـــاءت الآثـــام والأوزار
كـــذب قـــد أبتـــدعوه حتـــى مـــا لهـــم ... فـــي مصـــر إلا الكيـــد والإضـــرار
بـــان الضـــلال مـــن الهـــدي وبـــدا لنـــا ... فـــي مـــنهج الحـــق القـــديم منـــار
يـــا أمـــة ثبتـــت علـــى كيـــد العـــدى ... لا تجزعـــي إن الثبـــات فخـــار
ســـير إلـــى طلـــب (الجـــلاء) ولاتنـــي ... تمـــنح مـــن العليـــاء مـــا نختـــار
أفريـــد لا تخـــذل بـــلادك بعـــدما ... جمعـــت لـــديك أولئـــك الأنصـــار
هـــذي الشـــبيبة قـــل لهـــا لا تحجمـــي ... مـــا فـــي ثبـــات المقـــدمين شـــنار
لـــك مـــن يـــراع الكـــاتبين صـــوارم ... ولـــديك مـــنهم جحفـــل جـــرار
ترمـــي العـــداة إليـــك ســـهم ســـمومها ... ويـــذود عنـــك الواحـــد القهـــار
دعهـــم كمـــا شـــاءوا ليـــوم حســـابهم ... فلهـــم كمـــا شـــاء الهـــوى أطـــوار
إنـــا قـــد اخترنـــاك خيـــر مـــدافع ... يرضـــى بـــه الـــرحمن والمختـــار

obeikandl.com

وفي سنة ١٩١١ ألقى قصيدة أخرى في تحية السنة الهجرية (١٣٢٩) بالاحتفال الذي أقامته الطلبة لهذه المناسبة بدار التمثيل العربي يوم أول يناير سنة ١٩١١، وقد حضره المرحوم محمد فريد، وأشار في مطلع قصيدته إلى ما أصاب الحركة الوطنية من اضطهاد في العام السابق. قال:

تجلى العام فاستجلوا الهلالا ... فإني شمته للسعد فالا
سأطريه متى عزت بلادي ... وقد رزقت كما رزق الكمالا
وأمدحه متى قمنا بمصر ... وأرجعنا لها ذاك الجلالا
فأما والبلاد وساكنوها ... يزيد الدهر حالتهم نكالا
فلست بناظم فيه قريضا ... ولا أنا قائل فيه مقالا

***

إلا نطالب الأعوام خيراً ... ولم تنعم لنا الأعوام بالا؟
تمر وتنقضي منها ليال ... بأرزاء الزمان غدت حبالي
وتلك ممالك الإسلام كادت ... صروف الدهر تخبلها خبالا
فلست أخصها بالذكر عنا ... ونحن من البلاء أشد حالا

***

أيا عاما تقضي بئس سهم ... رميت به الغوائي والرجالا
فقالوا هل صروف العام كانت ... نزاعاً قلت بل كانت نزالا
هموم لو رشقت بها فؤاداً ... لكانت في جوانبه نبالا
لقد حملتنا للضيم عبئا ... ثقيلا لا نطيق له احتمالا
وقد أجريت دمع القوم حتى ... كأنا كلنا قوم ثكالى

ولـــو لا ذكـــر أحمـــد [1] كحـــل عـــام لمـــا صـــغنا لـــك الـــذكر الحـــلالا

المضي في الجهاد

أرى فرقـــاً قـــد افترقـــت بمصـــر ورامـــت عـــن أواصـــلها انفصـــالا
أنـــاس أخلصـــوا مـــن بعـــد زيـــغ وثـــابوا بعـــد أن ألفـــوا الضـــلالا
وأقـــوام قـــد أرتـــدوا جهـــاراً فســـاءوا فـــي عـــواقبهم مـــآلا
وقـــال الثاكصـــون كفـــى غلـــواً وإلا ذقـــتم منـــه الوبـــالا
خلائـــق فـــي المكـــارم لـــم يمـــدوا يمينـــا للفعـــال ولا شـــمالا
أولئـــك عصـــبة بـــالخزي بـــاءوا فســـموا الخـــزي والجـــبن اعتـــدالا

وقال يخاطب الشباب:

أنابتـــة الـــبلاد وخيـــر نـــشء غـــدوا للـــنشء بعـــدهم مثـــالا
علـــيكم بالإخـــاء ولا تفلـــوا عـــرى القربـــى فتتخـــذلوا انخـــذالا
ســـيندب حظـــه الـــوطن المفـــدي إذا لـــم تحســـنوا عنـــه النضـــالا
فجـــدوا فـــي علـــومكم صـــغارا ولا تشـــكوا الســـآمة والكـــلالا
فمـــن رام الكواكـــب والـــدراري بـــلا علـــم فقـــد رام المحـــالا
وإن صـــرتم رجـــال النيـــل يومـــا فـــلا تنســـوا بـــربكم القتـــالا
وذودوا عنـــه مـــا اســـطعتم بـــرأي حصـــيف واجعلـــوا الحســـنى جـــدالا
ومـــا زال الـــرئيس [2] لكـــم كفـــيلا علـــى رغـــم الخطـــوب ولـــن يـــزالا
وكونـــوا للأجانـــب خيـــر عـــون تزيـــدوا عـــروة الـــود اتصـــالا
إذا عشـــتم وإيـــاهم بخيـــر محـــوتم عـــنكم قـــيلا وقـــال

---

(١) يقصد الرسول ﷺ.

(٢) يريد الزعيم محمد فريد وكان حاضرا الاحتفال. وكانت النيابة العامة قد استدعته لاستجوابه في تهمة صحيفة باطلة، ثم أحالته إلى محكمة الجنايات، وقد حوكم فعلا عليه المحكمة ظلما في ٢٣ يناير ١٩١١ بالحبس ستة أشهر.

obeikandl.com

لقـــد أوجـــزت خيفـــة أن يقولـــوا: نســـيم فـــي قصـــيدته تغـــالي

الجهاد في سبيل الدستور

وقال يستحث الأمة على طلب الدستور وعلى الاتحاد والثبات في ميدان الجهاد:

فلاتفكـــوا عـــرى القربـــى ولورجعـــت عـــنكم شـــفار الظبـــا مخضـــوبة بـــدم
ولا تضـــيعوا مـــن الدســـتور فرصـــته فتقرعـــوا الســـن مـــن ذل ومـــن نـــدم
إن تيأســـوا فانتهـــاء اليـــأس مســـكنة أو تســـأموا فاحتمـــال الـــذل فـــي الســـأم
مـــا نـــال قـــط المعـــاني وهـــي دانيـــة قـــوم نيـــام وشـــعب غيـــر ملتـــئم
خيـــر لنـــا المـــوت مـــن عـــيش نكابـــده مـــع الهـــوان إذا كنـــتم ذوي شـــمم

ذكرى مصطفى كامل

وقال في فبراير سنة ١٩٠٩ في ذكرى مرور العام الأول على وفاة مصطفى كامل، وقد ألقى هذه القصيدة في دار اللواء بين يدي محمد فريد وأعضاء الحزب الوطني قبل أن يتحرك موكب الذكرى بالمسير:

مـــا بـــال عينـــك بالمـــدامع تســـجم رفقـــاً بنفســـك فالقضـــاء محـــتم
قـــد عـــادت الـــذكرى فجـــدد عودهـــا بـــين الحشـــا جرحـــا يثـــور فيـــؤلم
يـــا يـــوم كامـــل كنـــت يومـــاً قاتمـــاص كالليـــل أقبـــل وهـــو أســـود أقـــتم
يـــا يـــوم لا كانـــت طلائعـــك التـــي بـــالنحس أنـــذر وجههـــا المـــتجهم

وختمها بقوله مخاطباً محمد فريد:

أفريـــد يـــا ابـــن الأكـــرمين تحيـــة مـــن شـــاعر لعقـــود مـــدحك يـــنظم
أفريـــد يقرئـــك الســـلام معاشـــر مـــدوا إليـــك يـــد الـــولاء وســـلموا
حصـــنت بيضـــتهم وصـــنت ذمـــارهم بعزيمـــة قـــد أصـــغرت مـــا اســـتعظموا

obeikandl.com

ركبـــوا مطايـــا الحـــزم نحـــو رئيســـهم إذ أنـــت بيـــنهم الأجـــل الأحـــزم
فاضـــرب برأيـــك فـــي مواقـــف جمـــة فـــالرأي فـــي بعـــض المواقـــف مخـــذم

يهاجم الاحتلال في إبان سلطانه

قال سنة ١٩٠٩ من قصيدة يحمل فيها على الاحتلال ويفضح نكثه بعهوده ويستنهض الهمم للجهاد، وقد بدأها يستصرخ الإنسانية لتمد إلى مصر المكافحة يد العون والتأييد، وهي من عيون الشعر الوطني:

يـــا ناشـــرين لـــواء العـــدل فـــي الأمـــم الله فـــي أمـــة أنـــت مـــن الألـــم
مـــدوا إلينـــا يـــدا بيضـــاء نشـــكرها عنـــد التحـــدث شـــكر الـــروض للـــديم
إنـــا منينـــا بـــأقوام جبـــابرة مـــا بـــين مغتصـــب مـــنهم ومحـــتكم [١]
لـــو اســـتطاعوا لســـاقونا أمـــامهم مـــا بـــين مـــتهم منـــا ومجتـــرم
جـــاءوا إلينـــا وفـــي إيمـــانهم شـــرف يموهـــون بـــه فـــي العهـــد والقســـم
قـــالوا لنـــا: إننـــا جئنـــا بلادكـــم نبنـــي لكـــم ركـــن مجـــد غيـــر منهـــدم
حتـــى تخـــدرت الأعصـــاب وانســـدلت علـــى العقـــول ســـجوف البطـــل والـــوهم
ولـــم يزالـــوا علـــى هـــذا الـــدعاء وهـــم لا يقصـــدون ســـوى الإخمـــاد للهمـــم
حتـــى إذا انتبهـــت منـــا جوارحنـــا وأدرك الحـــال فهـــم الحـــاذق الفهـــم
حكـــوا القلـــوب فأذكوهـــا وربتمـــا أدى إلـــى النهـــار حـــك البـــارد الشـــيم
فـــلا عهـــود لهـــم ترعـــي ولا ذمـــم كمـــا اســـتباحوا الـــدنيا النكـــث فـــي الـــذمم
صـــبوا علـــى مصـــر ســـوطا مـــن تعنـــتهم وأججـــوا فـــي حشـــاها جمـــر بغـــيهم
هـــم أحرجونـــا بهـــذا الضـــيم مـــن زمـــن فـــإن هممنـــا بـــدفع الضـــيم لـــم نلـــم

***

(١) يريد المحتلين.

obeikandl.com

يـــا قـــائمين بـــأمر النيـــل حســـبكم ... مـا أحـرج القـوم مـن ظلـم ومـن غشـم
نـــاموا هنيئـــاً قريـــري العـــين أن لنـــا ... عينـا مـن الشـعب لـم تغفـل ولـم تـنم

وقال فيها يدعو الشعب إلى الاعتماد على نفسه:

أنـت يـا شـعب وادي النيـل كـن حكمـا ... فلـيس غيـرك مـن مستنصـف حكـم
كـم أمـة حكمـت فـي مصـر وارتحلـت ... عنهـا حليفـة جـد بعـد لـم يقـم
سـل أمـة الـروم هـل أبقـت لنـا أثـراً ... يبقـى علـى الـدهر أو سـل أمـة العجـم
مضـوا ولـم يتركـوا فـي مصـر مـأثرة ... ينبيـك عنهـا لسـان النيـل والهـرم
هـذه عجائـب هـذا القطـر مـن زمـن ... وتلـك حـالات وادي النيـل مـن قـدم

يحيى جريدة العَلَم

قام في سنة ١٩١٠ خلاف على ملكية (اللواء) بين بعض ورثة المرحوم مصطفى كامل، طرح أمره أمام القضاء، وعين حارس قضائي على اللواء، وكانت صحيفة الحزب الوطني، وأراد الحارس أن يتدخل في تحريره وتوجيه سياسته، فرفض المرحوم محمد فريد هذا التدخل، وأنشأ جريدة (العلم) وجعلها لسان حال الحزب الوطني، وابتدأ ظهورها يوم ٧ مارس سنة ١٩١٠، فحياها نسيم بقصيدة بديعة، قال:

إلا فليخفـــق (العلـــم) الجديـــد ... يمينـــا إن طالعـــه ســـعيد
أيـــا علـــم الـــبلاد عليـــك منـــى ... ســـلام الله مـــا خفقـــت بنـــود
أرى الأعـــلام معلقهـــا بنـــاء ... ومعقلـــك الجـــوانح والكبـــود
بربـــك خبـــر الأقـــوام عنـــي ... بمـــا تنـــوي الـــوزارة والعميـــد [١]
رفعـــت لنـــا وبالأبصـــار شـــك ... مـــن الشـــبهات والأيـــام ســـود
فجئنـــا مـــن لـــدنك بكـــل فـــأل ... تحـــداه التـــيمن والســـعود

(١) وزارة محمد سعيد والعمد إلدون جورست معتمدا بريطانيا.

وإن كنـــا نـــرى الأعـــلام شـــتى فأنـــت وربـــك العلـــم الفريـــد

***

أيـــا (علـــم) الـــبلاد أرى احـــتلالا كأنـــا عنـــده نفـــر عبيـــد
أصـــر علـــى الجفـــاء ونحـــن شـــعب أضـــر بـــه التعســـف والوعيـــد
وكـــم مـــن جـــذوة فـــي القلـــب شـــبت فلـــم يـــدرك تأججهـــا الخمـــود
فقـــل لهـــم أثيـــروا كـــل عســـف فـــريح العاســـفين لهـــا ركـــود
متـــى ينـــأى احـــتلال النيـــل عنـــا وتصـــدق منـــه هاتيـــك الوعـــود؟
قضـــوا فينـــا بمـــا شـــاءوا وصـــدوا كمـــا رامـــوا فهـــل نفـــع الصـــدود؟
لقـــد فرحـــوا بمـــا أوتـــوا فجـــاروا وللبـــاغي إذا عقلـــوا حـــدود
ضـــروب فـــي المكايـــد يـــوم تحصـــي علـــيهم لـــيس يحصـــيها العديـــد
وكـــم ودوا الشـــقاء لأهـــل مصـــر كمـــا شـــقيت بظلمهـــم (الهنـــود)
مكايـــد يفـــزع التـــاريخ منهـــا ويصـــدف عـــن إعادتهـــا المعيـــد

***

أقـــول الحـــق لا أخشـــى انتقامـــا بهـــم إليـــه (طاغيـــة) مريـــد
أإن أن المضـــيم فقـــال رفقـــا تشـــد لـــه السلاســـل والقيـــود؟
إذا مـــدوا حبـــال الســـوء يومـــا فـــإن الله يومئـــذ شـــهيد

***

أيـــا (علـــم) الـــبلاد إليـــك شـــعرا تـــردده التهـــائم والنجـــود
ودونـــك عقـــد نظمـــي مـــن جمـــان ومـــن درر يقـــال لـــه قصـــيد
يريـــد الشـــامتون بنـــا نكـــالا (ويـــأبي الله إلا مـــا يريـــد)
فكـــن فـــي الحـــق مثـــل الحـــق يمضـــي يكـــن لـــن بيـــنهم بـــأس شـــديد
ولا تتبـــع هـــواهم بعـــد علـــم يضـــلوا فـــي الغـــوالاة أو يزيـــدوا
فلـــيس بنـــافع فـــيهم رشـــاد ولا مـــن بيـــنهم رجـــل رشـــيد

oberkandl.com

إلى الزعيم محمد فريد في سجنه

في سنة ١٩١١ حوكم الزعيم محمد فريد أمام محكمة الجنايات بتهمة أنه حبذ الجرائم وأهان الحكومة إذ كتب مقدمة لكتاب (وطنيتي) الذي تضمن قصائد نظمها الأستاذ على الغاياتي، ومع أن هذه المقدمة كتبها الزعيم دون أن يطلع على محتويات الكتاب وقبل أن يتم المؤلف وضعه ثم سافر الزعيم إلى أوروبا في مايو ولم يظهر الكتاب إلا في شهر يوليه، وليس في المقدمة ما يقع تحت أي نص من قانون العقوبات.ومع ذلك فقد أقامت عليه النيابة الدعوى العمومية، وكان الغرض من محاكمته إرهابه وتهديد أنصاره واضطهاد الحركة الوطنية، وقد حكم عليه في ٢٣ يناير سنة ١٩١١ بالحبس ستة أشهر في هذه التهمة الباطلة، ونفذ فيه الحكم يوم صدوره.

فنظم أحمد نسيم قصيدة من روائع الشعر الوطني بعنوان (إلى الرئيس في سجنه) حياه فيها أبلغ تحية، وعبر عن الشعور العام بإزائه أصدق تعبير، قال:

يا ليت سجنك لم يكن بمقدر ... فاصبر على المقدور ستة أشهر
قد جل رزء الشعر حتى خلته ... بعض الرثاء وأنت لما تقبر
لو لا احترام الحاكمين وحكمهم ... لجعلته مثل الشواظ الأحمر
أقصرت في ما قلت حتى لم تسل ... أمقصرا أم كنت غير مقصر [1]
وتركت أقيا للدفاع فلم تعن ... بالمدره المشهور أو بالأشهر
يكفيك عطف العالمين ووجدهم ... من أكبر يطأ الثري أو أصغر
حتى لقد ماد (البقيع) و(يثرب) ... وتزلزلت أرض (الصفا) و(المشعر)
التاع قلب (محمد) لمحمد ... رب المحامد والعلا والمفخر

***

(١) يشير إلى إيجاز الفقيد في جوابه على أسئلة المحكمة وعدم استعانته بمحامين للدفاع عنه إيمانا منه ببطلان التهمة وتحديا للمؤامرة التي اتخذت شكل المحاكمة.

obeikandl.com

إنـــي نظرتـــك فـــي اتهامـــك واقفـــاً ... فظننـــت أنـــك واقـــف فـــي المنبـــر
لتقـــول شـــعبي أو بـــلادي إننـــي ... لهواكمـــا بـــين اللظـــى المتســـعر
ولقـــد رأيتـــك جالســـاً مستبســـلا ... خلـف الشـباك جلـوس مـن لـم يـذعر
فرأيـــت فـــي هـــذا الشـــباك معانيـــاً ... فهـــي العـــرين وأنـــت أجـــرأ قســـور
ولقـــد لمحتـــك ماشـــيا فـــي ثلـــةٍ ... تعتـــز بيـــنهم بقـــدر أوفـــر
فســـألت هـــل هـــذا المســـور "خالـــد" ... أم "جـــوهر" يختـــال بـــين العســـكر

***

أفريـــد يـــا ابـــن الأكـــرمين تحيـــة ... مـــن شـــاعر بســـوى الأســـى لـــم يشـــعر
فـــي مصـــر قـــوم نـــاوأوك بشـــرهم ... فـــاردد مكايـــدهم إلـــيهم وانحـــر
ذكـــروك فـــي حـــب الـــبلاد وأهلهـــا ... مـــا قيمـــة الإنســـان إن لـــم يـــذكر؟
لـــو كنـــت ممـــن تـــاجروا بضـــميرهم ... للعبـــت لعبـــا بالنضـــار الأصـــفر
أو كنـــت ممـــن يطلبـــون مراتبـــا ... لشـــأوت فـــي العليـــاء نجـــم المشـــترى
وســـبقت أجـــرام الســـماء وفتهـــا ... مـــن مظلـــم فـــي ذاتـــه أو نيـــر

***

أ (محمـــد) كـــن فـــي النوائـــب ضـــيغماً ... مســـتجمعا للطـــارئ المتنمـــر
إن بـــت أنـــت مـــن الفـــوادح جازعـــا ... مـــا فضـــل مفتـــول الـــذراع غضـــنفر؟
أشـــرق لعلـــك بـــين ســـجنك مشـــرقا ... تهـــدي ســـبيل الطـــارق المتنـــور
فالشـــعب بعـــدك بـــات ينتجـــع العـــلا ... وغـــدا منـــاه ورود هـــذا الكـــوثر
أنعـــم بســـؤددك العظـــيم ومرحبـــا ... بـــك مـــن كـــريم الأصـــل زاكـــي العنصـــر
أعـــزز علينـــا يـــا بـــان "أحمـــد" حالـــة ... جـــاءت بعـــيش بـــالهموم مكـــدر

***

فكأنـــــه بـــــدر يحجـــــب نـــــوره ... ظلمـــات غـــيم فـــي الســـماء كنهـــور
أو درة مكنونـــــــة فـــــــي زاخـــــر ... أو دمعـــــة مخبـــوءة فـــي محجـــر
أو زهـــرة فيحـــاء خيـــف ذبولهـــا ... وضـــياع نفحتهـــا إذا لـــم تســـتر
أو نـــاظر غمضـــت عليـــه جفونـــه ... حـــذرا عليـــه مـــن القـــذى والعثيـــر
أو أنـــت ســـر الكائنـــات محجـــب ... أو بعـــض مكنـــون القضـــاء المضـــمر

إلى أن قال:

أمحمـــــد مـــــا أنـــــت أول مبتلـــــى ... بالفادحـــات مـــن الزمـــان الأكـــدر
إنـــي عهـــدتك خيـــر مـــن يســـدي الـــورى ... رأيـــا وخيـــر مفكـــر ومـــدبر
فاشـــهر لـــدى الأهـــوال عزمـــا صـــادقا ... فلـــرب عـــزم كالحســـام الأبتـــر
مـــا النـــاس إلا اثنـــان ذاك ميســـرر ... للصـــالحات وذاك غيـــر ميســـر
جـــل الإلـــه فقـــد أرانـــا علمـــه ... مـــن كـــل شـــيء فـــي الوجـــود مســـخر
بانـــت مراحمـــه بأكمـــل رونـــق ... وبـــدت مـــآثره بأكمـــل مظهـــر
لـــولا الفـــؤاد ومـــا أصـــاب دفينـــه ... مـــا كنـــت عـــن ذاكـــراك بالمتـــأخر
لـــو لا مـــراس الـــداء صـــغت قصـــيدة ... أربـــت علـــى شـــعر الأديـــب المكثـــر

***

عفـــواً رئـــيس المخلصـــين فـــإنني ... مـــا رمـــت إلا جـــل عفـــوك فـــاغفر
قـــد جئـــت أزجـــي فـــي القـــريض خريـــدة ... قـــد بـــات يحســـدني عليهـــا (البحتـــري)
عطريـــة فيحـــاء طـــورا عـــن شـــذا ... ورد وطـــوراً عـــن أريـــح العنبـــر
فيهـــا معـــان صـــاغها لـــك مبـــدع ... جـــم البيـــان خيالـــه لـــم يحصـــر
فـــاخلع عليهـــا مـــن خلالـــك نفحـــة ... حتـــى تضـــوع بـــنفح مســـك أذفـــر
لـــي فيـــك مـــلء الخـــافقين لآلـــيء ... زهـــر تبيـــع بهـــا الـــرواة وتشـــتري
فعليـــك منـــي مـــا حييـــت تحيـــة ... زهـــر تبيـــع بهـــا الـــرواة وتشـــتري
وســـلام كســـرى فـــي الملـــوك وقيصـــر

يحيي الوحدة الوطنية

قال سنة ١٩١٩ يحيى الوحدة الوطنية والتآخي بين المسلمين والأقباط:

أقبـــاط مصـــر ومســـلموها ضـــمهم ... ديـــن المســـيح وشـــرعة الإســـلام
الناشـــئون علـــى الطهـــارة والتقـــى ... والقـــائمون بمصـــر خيـــر قيـــام
والخالـــدون إلـــى الســـكنية كلمـــا ... جـــاء الزمـــان بشـــدة وعـــرام
بـــرح الخفـــاء وبـــان أنـــا أمـــة ... لـــم تبـــغ غيـــر محبـــة ووئـــام
إنـــا لنرجـــو أن نعـــيش بغبطـــة ... تـــوحي الســـلام وتنتهـــي بســـلام

يرثي فريدا

قال سنة ١٩١٩ من قصيدة في رثاء محمد فريد:

رمانـــا الزمـــان بإحـــدى الكبـــر ... ومنـــه العظـــات ومنـــه العبـــر!
شـــهيد تصـــارع فـــي حومـــة ... رمـــاه القضـــاء بهـــا والقـــدر
وخلـــف مـــن بعـــده أمـــة ... كســـرب النجـــوم فقـــدن القمـــر
أتـــى جثـــة ســـافرت للبلـــى ... ولـــم تســـترح مـــن عنـــاء الســـفر
منـــى أوردتـــه حيـــاض الـــردي ... وورد الـــردى مـــا لـــه مـــن صـــدر
تعلقهـــا عنـــد ســـرخ الصـــبا ... ولـــم يجفهـــا عنـــد مـــس الكبـــر
وأينـــع فـــي روضـــها غرســـه ... ولـــم يبـــق إلا اجتنـــاء الثمـــر
وأي امـــرئ عـــاش أقصـــى المـــدى ... فنـــال مـــن العـــيش أقصـــى الـــوطر؟

***

إلى أن قال:

هنيئـــا لميـــت نعتـــه العلـــى ... وطـــوبى لحـــي وعـــي وادكـــر
وحســـب فريـــد منـــى نالهـــا ... فقـــد حصـــدت كفـــه مـــا بـــذر
فتـــى أغمـــض المـــوت أجفانـــه ... وأطبقهـــا بعـــد طـــول الســـهر

obeikandl.com

أفـــاض علـــى قومـــه مـــا لـــه ... فـــأدى الحقـــوق وأســـدى البـــدر
طويـــل نجـــاد الجـــدى عائـــل ... لكـــل ضـــريك إليـــك افتقـــر
رأي الحـــرص عـــاراً علـــى نفســـه ... فهـــان علـــى نفســـه مـــا ادخـــر
وكـــان بصـــيرا بعقبـــي النـــدى ... يـــرى المـــال يفنـــي وتبقـــى الســـير
وأخلـــد مـــا للفتـــى ذكـــره ... إذا نـــزل القبـــر لا مـــا يـــذر
وكـــم صـــامت نـــاطق فـــي الثـــرى ... بـــآي فصـــاح كـــآي الســـور
ولـــيس الـــذي ذكـــره خامـــل ... كمـــن شـــاع صـــيب لـــه وانتشـــر
ولـــيس بميـــت أغـــر اســـمه ... علـــى صـــفحات العلـــى مســـتطر
خطيـــب المنـــابر منطيقهـــا ... وأســـلس مـــن فـــوق جمـــع نثـــر
فـــإن يكـــب يومـــا بضـــماره ... فكـــم مـــن جـــواد كبـــا أو عثـــر
ومـــا زال ينهـــب فـــي عـــدوه ... فيـــا فـــي الفجـــائع حتـــى ضـــمر
وحتـــى دهنـــه بأعناتهـــا ... كـــوارث كاســـرة للفقـــر

وختمها بقوله:

أرى "كلامـــا" راح فـــي شـــرخه ... وأودي "فريـــد" حميـــد الأثـــر
زعيمـــا بـــلاد خلـــت منهمـــا، ... "أبـــو بكـــر" مـــات وولـــي "عمـــر"
عـــزاء العـــلا عنهمـــا أمـــة ... تنـــادت لتجديـــد مجـــد دثـــر
وشـــعب ســـعي نحـــو آمالـــه ... بعـــز توقـــد حتـــى اســـتعر
ومـــا مـــن ضـــعيف القـــوى واهـــن ... تشـــبث بـــالحق إلا انتصـــر

يحيى جريدة الأخبار

قال سنة ١٩٢٠ يحيى المرحوم أمين الرافعي لمناسبة إصداره جريدة الأخبار:

يـــا وحـــي أســـعفني بـــنظم قـــلادة ... صـــيغت لألئهـــا مـــن الأشـــعار
هـــذا (أمـــين الرافعـــي) ومـــن لـــه ... خيـــر الســـجايا الغـــر والآثـــار
يـــا (رافعـــي) لأنـــت أصـــدق مخلـــص ... للنيـــل فـــي الإعـــلان والإســـرار
جـــرد يـــراع المخلصـــين وذد بهـــا ... بطـــش القـــوى وصـــولة الجبـــار
واحـــذر علـــى (الأخبـــار) مـــن آفاتهـــا ... إن (الـــرواة) لآفـــة الأخبـــار

obeikandl.com

اليـــــوم هنـــــأت الـــــبلاد بكاتـــــب ملكـــــت يـــــداه صـــــحيفة الأحـــــرار

يندد بالانقسام ويدعو إلى التآخي

وقال سنة ١٩٢١ حين اشتد الانقسام بين سعد وعدلي وأنصارهما، يندد بهذا الانقسام ويدعو إلى توحيد الصفوف:

قـــالوا انقســـمنا فقلنـــا فتنـــة عمـــم بهـــا تفـــل مواضـــي العـــزم والهمـــم
ولـــم نكـــن غيـــر جـــيش راكـــب طرفـــا شـــتى المســـالك مـــن ســـهل ومـــن أكـــم
حتـــى يـــرف لـــواء الفـــوز منعقـــدا علـــى الزمـــان بحـــق غيـــر مهتضـــم
وكيـــف نقســـم والتـــاريخ ينبئنـــا أن الفـــلاح لشـــعب غيـــر منقســـم
فحـــاذروا أن تحلـــوا عقـــد شـــملكم فتقرعـــوا الســـن مـــن حـــزن ومـــن نـــدم
ونظمـــوا مـــا اســـتطعتم مـــن صـــفوفكم فـــالجيش إن يعـــره الإخـــلال ينهـــزم
ولا أحـــدثكم عـــن إرثكـــم عجبـــا فمنعـــه كـــان بـــزوغ المجـــد والكـــرم

***

والمجـــد يـــدرك بالأعمـــال منجـــزة لا درك المجـــد بالألفـــاظ والكلـــم

***

obeikandl.com